# نزف الدموع وبتر الضلوع

مرثية تاريخية

رثي بها ساكن الجنان وفسيح الرحمة والرضوان

## المرحوم الدكتور محمد بك فوزي

معلم العمليات الجراحية بالمدارس الطبية

---

انشأها السيد رفعت احد تلامذة الفقيد بالطب

---

عين المصائب نحو الطب ناظرة　　بانت نظرتها تعتل ناظرها
ما كان فوزي بمدموم بمرصدة　　بل حكمة يعلم المولى سرائرها

طبع في مطبعة المقتطف في مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة

# المرحوم الدكتور محمد بك فوزي

حمدًا لمن جعل الصبر للصابرين ذخرًا وأعدَّ لهم في مقام الخلد من الجزاء خيرًا واجرًا وصلاةً وسلاماً على اشرف المرسلين مَنْ انزلت عليهِ ان الله مع الصابرين (وبعد) فهذه مرثية تاريخيَّة وشكوى قلبيَّة سميت (نزف الدموع وبتر الضلوع) كيما يكون الاسم ناطقاً ومطابقاً لما هو واقع في الحال ومستمر الى الابد مع الاستقبال رُثي بها ساكن الجنان وفسيح الرحمة والرضوان سعادة الدكتور المرحوم محمَّد بك فوزي معلم العمليَّات الجراحيَّة بالمدارس الطبيَّة المصريَّة قد تُليت علنًا يوم الوفاة عند مواراة جسدهِ الشريف بلسان المنشىء لها اثناء تشييع جنازة المصاب الى المقابر مع التأسف واستبدال الدمع بالنزيف دعتهُ الى ذلك دواعي الاحزان ولبتهُ الى الاجابة فكر التأسي والاذهان وحثتهُ على القيام والاهتمام بها واجبات هذا الفقيد على معشر الاطباء واستعظام خطبهِ اذ بموت هذا المعلم الشهير والنطاسي العالم البارع النحرير قد قضى فن الطب نحبهُ والتقى بربهِ فجيء بها سلوى لمعشر الحكما والاخوان وتعزيةً للاهل

والاقارب والاوطان اذعزَّ بعد فقد هذا المصاب تلقي صناعة الطب وهيهات هيهات راجي الشفاء بعد الفقيد ان يلبّي ويُجاب فيا لهُ من رزء تشق لهُ المرائر لا الجيوب وخطب تذوب منهُ الاكباد والقلوب ومصيبة زلزلت منها القلوب وشيعت شمس المعارف الى الغروب فان هذا المصاب الممنا الله واياكم معشر المصريين جميل الصبر ولو ان الصبر اضحى بموتهِ جزعاً مرتاب. فقد كان رحمهُ الله حميد السيرة والاخلاق متسربلاً بحلية الآداب سخي الكف طلق الوجه على الاطلاق يجيب المضطر اذا دعاه ويسعف المريض ابتغاء مرضاة الله عفوفاً قنوعاً لعزّتهِ كانت علوم الطب والاطبا تخر على الاذقان سجدًا وركوعاً خبيرًا بالامور مسطورًا على جبهتهِ بقلم السرور هذا الذي للطب نور على نور وللكسير جابر وللعلوم غيور جبل فطرة على حب المعارف ونشرها واستئصال دواعي الضن بيترها ونشرها وكم لهُ من مآثر تجل عن الحصر وتورد لسان البيان الى العجز والقصر فقد كان المغفور لهُ من الصغر ذكياً نبيهاً عاقلاً فائق الاقران اشرقت شمس ميلادهِ في مصر بمديريّة الغربيّة سنة ١٢٥٢ هجريّة وبعد ان قضى زمن الطفوليّة الاوليّة الحق بالمدارس الابتدائيّة المصريّة الكائنة بشارع النصريّة فمكث بها آخذًا في الجد والاجتهاد تلوح عليهِ طوالع الحكم والاسعاد الى ان بلغ بها غاية الارب واستكمل حلية الكمال والمعارف والادب وبعد ذلك الحق بالمدارس الطبيّة مباشرة بصفة استثنائيّة امتيازًا لهُ دون الاخوان والاقران لما كان عليهِ من الذكاء وطلاقة اللسان ووفور العقل وحدة الاذهان

في المهد ينطق عن نجابة سعدهِ ... اثر النجابة ظاهر البرهان

وكان اذ ذاك يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً تقريبيةً اذ الحقائق كادت لجزع الورى بفقدهِ ان تكون عن الجميع خفيةً فاخذ بجمع التالد منها والطارف وشاقتهُ رغبة المعالي الى الحصول على المعارف فما استكمل بها ست سنين الاَّ واوتي كتاب الترقي باليمين وبعد ما صار طبيباً بارعاً وحكيماً عاقلاً وجراحاً ماهرًا وبحرًا واسعاً عز على رئيس المدارس الطبيةّ وكان اذ ذاك الجراح (ريّر) النمساوي ان يدع الطب محرومة من معارفهِ بعد ان ارضعتهُ في عصرهِ ثدى العلم وصار عزيز المقارن والمساوي لكونهِ كان معروفاً بالنجابة والمهارة لديهِ دوناً عن جميع من اخذوا صناعة الطب عليهِ هو وقرينهِ الدكتور واصف فقلدهما معاً باعادة الدروس تحت رعايتهِ كي لا يحرمان من غرس وجنى المعارف فاستمرَّ رحمهُ الله يفيد ويستفيد الى ان ترك الطب ذاك المعلم وسافر الى بلادهِ بعد زمن غير مديد وبعدهُ قلد رئاسة مدرسة الطب الفاضلِ المصري والركن العظيم مجدد علوم الطب بمصر محمَّد علي بك الحكيم فاتخذ المرحوم فوزي عوناً لهُ وخليلاً وبوَّأهُ لديهِ مقعد صدقٍ وانزلهُ مكاناً جليلاً فنال على يدهِ ما لم ينلهُ احد واكتسب شهرةً لا زالت في صحف التاريخ محفوظة الى الابد فمكث على ذلك زمناً يقتحم الاعمال ويفتح ابواب العلاج والتطبيب من فكر ابتكارهِ علناً فلله درهُ قد امنت بهِ الديار من غوائل الامراض واحتمت بهِ صحة المصريين من العلل والاعراض وبعد ذلك صارت تسمو بهِ علوم الطب الى المعالي وتتسع بهِ دائرة المعارف على حين لم تكن في درجة مثل درجة الوقت الحالي وما زال يترقى بعلومهِ ومهارتهِ المناصب والرتب حتى بلغ منها مبلغ الغاية والارب ولولا حبه في التعفف واستكمالهِ

غاية التعطف والتلطف لاستحوذ منتهاها وقرت بهِ عيناها الَّا انهُ رأى من حلمهِ ان الفقير والمضطر ربما يرى زعماً ان هنالك في سؤَالهِ تكليف وقهر فلذا اقتصر منها على القليل ورغب عن التولع بها لاستعبادهِ حلماً قلب الحقير والجليل وتنزه عن الشريك في الطب والمثيل وقد شاهد رحمهُ الله عدة حروبات شهدت لسعادتهِ بالفضل في التطبيب والتعليل وقوبل على ذلك مرارًا بنياشين دوليَّة سلطانيَّة ومكافئات خديويَّة وامتيازات خصوصيَّة ومزايا شخصيَّة ولما عزَّ على الطب ان تعيش محرومة من نفائس هذا البيك واتخاذها عنهُ شوارد العلم والطارف جاءَ بهِ حسن اشتياقهِ الى بث ونشر المعارف حباً في تقدم شبأن الوطن كيما ينتفع بهم على ممرّ الزمن فقلد بتأدية الاعمال الجراحيَّة فاستقبل هذا التقليد بكل مسرة وممنونيَّة وقام بذلك احسن قيام واهتم بفروض الاعمال جميل الاهتمام بصارم باتر وساعد ماهر مع بذل الهمة في التفهم والتفهيم واستكمال فضيلتي التعلم والتعليم فضلاً عما كان عليهِ من مكارم الاخلاق وموافقة كل على قدر افكارهِ جميل الاتفاق واستخدام الجهد في تطبيق العلم على العمل وممارسة المرضى بالمستشفى العمومي بلا فتور ولا ملل مع حسن ملاطفتهِ اياهم وتلبيتهم واهتمامهِ بواجباتهم وتسليتهم والاعتنا بما يجب عليهِ من المواظبة على مباشرة الاعمال الجراحيَّة التي رقت بيدهِ خطة لولاهُ لأَمست مصر عاريةً عنها بالكليَّة واستمر على ذلك مدة تبلغ الثمان والثلاثين سنة معظمها في خدمة العلم بالطب والمستشفى ليلاً ونهارًا لا تفتر همته يوماً عن بث فائدة علميَّة او عمليَّة ولا تخلو فترة من الزمن الَّا وتتخذ من مكارم اخلاقهِ وحلمهِ الخصال والفضائل الادبيَّة وتفوز منهُ مقتبسو الفوائد الطبيَّة الى ان هجمت عليهِ جيوش الممات في هذا

العام ولهُ من العمر نحو الخمس والخمسين سنة حائزًا من رتب الشرف لرتبة متمايز فاصبح الطب والمستشفى في يتم بعد هذا الفقيد واستولت عليهما يد الذلّة والمسكنة

ومات رحمهُ الله ولم يترك خلفاً عقبَ علة قلبيّة مكث بها بضع ايام قبل الوفاة يتجرع مرائر الداء والدواء من يد اطباء مهرة مختلفي الجنسيّة وليت شعري بمَ يفيد تجرع الدواء مع حلول المنيّة وكانت وفاتهُ الساعة ٤ يوم الاحد ١٩ القعدة ١٣٠٧ الموافق ٦ يوليوسنة ١٨٩٠ افرنكيّة وما تمت الساعة التاسعة نهارًا الّا وشيع مشهدهُ الى المقابر محتفلاً بوجوه مصر من علماء ورؤساء محاكم وقضاة واطباء وتلامذة وطوائف شتى تجل عن الحصر فيالها من حفلة لولم تكن منيّة هرعت لها سكان مصر اجانباً كانوا او وطنيين من كل فج عميق جزعاً بخطب هذا المصاب فوالله لقد كادت تضيق من الازدحام شوارع مصر العموميّة وكيف لا وقد كان مبدأ مشهدهِ بالمقام الحسيني وآخرهُ بباب اللوق والناس مصطفون اثناء السير صفين فجزا الله عنا الجميع خيرا الجزاء وعلى الخصوص سعادة الفاضل محمود بك صدقي وكيل الصحة العموميّة فللهِ دره حيث اهتمّ بواجبات وحقوق هذا الاستاذ الفاضل والعالم العامل عن صدق همتهِ وحسن طويتهِ لاسيما سعـــادة العديل محمّد بك الشواربي لقد قام بفروض القرابة والاخويّة وكذا البقيّة حفظهم الله ووقاهم و الهمنا الصبر واياهم

فَلْنسترجع الله في هذا المصاب اقرارًا بانهُ المتصرف الوحيد والفاعل المختار فيما يشاء ويريد ونتقاسم الاحزان ونستمنحهُ جميل الصبر للآل والاخوان ونطلب منهُ ان يجعل مقرهُ الجنان فانهُ واسع الرحمة والرضوان وهذا ما اوردناهُ

من تاريخه بالاختصار خوفاً من استجلاب الملل للقارىء بالاكثار نقلاً عن حضرة الفاضل الجليل والجراح النبيل قرين وصديق المرحوم الدكتور واصف دام كنزاً لحفظ وبث المعارف ويحفظ الله لنا توفيق نعمتنا وانجالهِ الكرام ورجال حكومتهِ الفخام . وها هي المرثية

## نزْف الدموع وبتر الضلوع

بموت فوزي توارى الطب بالكدمِ    وسلَّمَ الجرحُ قلبَ الناس للندمِ
تيتم الطب علماً والشفا عملاً    والجرح برأَ كذا تشخيص ذي المِ
كم شُقّقت عند ما عزَّ اللقا مهجٌ    بمشرط الموت بَترًا في حشا الامِ
وكم تجارت دموع من دما مقلٍ    وكم خدود دمت من لطم ملتطمِ
منْ للجريح ولقمان الوجود مضى    مستأْصَلَ النسل كالمعهود في الورمِ
كانت لهُ بشفاء الداء معرفة    ما خلتها ظهرت في العرب والعجمِ
عجبت والكل مثلي صار في عجب    كيف لمنيّة لا تخشاهُ من عظمِ
اما درت انهُ فوزي وصنعتهُ    قد طالما انقذت موتى من العدمِ
فلو دعتهُ المنايا وارتضت بدلاً    تسابق الكل جمعاً عن رضى هممِ
اليكمُ معشر الاخوان والحكما    نعي الذي ساقنا موتاً الى السقمِ
فوزي الاطبا وبقراط الزمان نهى    ركن المعالي الذي اضحى بمنهدمِ
احزانهُ قسمت فالناس اجمعهم    قسم ونحن البواقي قسمة القسمِ
وثقت بالدهر عهدًا فانجلت ثقتي    بان عهدي مع البلوى بمنفصمِ
ولو وفى الدهر عهدًا اوقضى ذمماً    لما غدا اليوم مع فوزي بمنصرمِ

وغاية الامر ان نرضى بما رضيت ... بهِ المقادير تخليصاً من التهمِ
نأى فأدنى لنا الاحزان نندبهُ ... ضلَّ الذي يندب النائي بغير دمِ
ومن يوفّي رسوم الحزن مرتثياً ... وطفل مصر غدا بالفقد في هرمِ
وكيف يرثى وقد حق المات على ... كلٍّ يراهُ بطيّ اللحد ملتزمِ
وليس فوزي هو المرثى بدفنتهِ ... وانما الطب من فقدٍ ومن عدمِ
ولو درى الموت ان الطب مات كما ... قد مات والدهُ لاعتلَّ من سقمِ
قد كان ركناً وحصناً للجريح ولو ... عزَّ الشفاء لما امسى على المِ
كان الدواء لقاهُ والشفا يدهُ ... والداء من طبّهِ يمسي على وضمِ
كان الفقيد امام العصر منفردًا ... في العلم والحلم والاحكام والحكمِ
ربُّ الاطبا وحيد الفن مفردهُ ... وريث موجدهِ في مصر والامم
كانت مزاياهُ تنبي عن مورّثهِ ... في الفعل والعلم والافضال والكرمِ
كفاهُ معجزةً فالكل قد عرفوا ... تجديدَ موتِ عليٍ بالبيك في عظمِ
ياطب امسى الطبيبان اللذان هما ... محمد وعليٌّ في يد العدمِ
وهل يطيب لناعيش بفقدهما ... والاصل والفرع كل بالمنون رمي
وهل يرى طالب بالطب فائدةً ... وقد مضى من بهِ كانت على حكمِ
بموتهِ قد قضى فن الجراحة من ... هذي الديار وحق انسيف والقلمِ
فليبكهِ العمر مستشفى الديار كما ... تبكيهِ آثارهُ في الحل والحرمِ
نفسي الفداء لرب الطب سيدهِ ... ان الفداء لهُ من اعظم النعمِ
ولو منيتهُ تفدى بافئدةٍ ... كنا الفداء لهُ بالفعل والكلمِ
فكم تفذت فروع الطب من يدهِ ... فعلاً كما سنها علماً من القدمِ

تبّت يد الموت فعلاً وانثنت شللاً | حيث انتقت من عليهِ الكون في ندمِ
مـاذا عليهِ لو اختـار اللئيمَ فدًا | وفرّح الطب بالايجـاد والعدمِ
اعني وجودَ حكيمٍ وانعدام غبي | كيما يكون الورى محمًى من الظلمِ
نحا عن الطب للموت ابتغا غرضٍ | وهو التقاصي عن المذموم باللممِ
من ذا الذي لم تذب عيناهُ من حزنٍ | وهـل بغير الدما عيني تفي ذممي
اوّاه اوّاه اذ وصّى العـديل رضـا | بقولهِ باكياً يا ليكُ صـل رحمي
ثم التقى ربهُ بعـد انقضا اجلٍ | يا ويحهـا ساعة كانت على الامم
قد سار موكبهُ عصرًا ويقدمهُ | وجوه مصر من البلوى على قدمِ
ثم الاطبـا ويتلوهم توابعهم | ثم البنون بلحن الصبر والوجمِ
ومن وراه نواعيهِ تلامذة | رسوم حزنهم في الناس كالعلمِ
وبعد هذا وهذا حاملوهُ على | ايدي التأسّي ويُتلى الكل بالحرمِ
يا حسن مشهدهُ والناس تشهدهُ | كموكب غيران الدمع كالديمِ
قد نُظّمت من نياشين الفقيد حلًى | لمثلهـا نظم احزاني بمنتظمِ
لهفي على من ثوى في القبر منفردًا | عديم مجل وهذا غاية النـدمِ
لهفي على عامرات القصور متى | واروهُ تحت الثرى بعد انتهى الشيمِ
يا طالما خضّبت لطمًا بنان يدٍ | بئس الخضاب خضاب الحزن والنقمِ
يـا ويح طلابهِ من بعد فرقتهِ | فكلهم اصبحوا في غيهب الظلمِ
لا يرتجون انتفاعاً بعد هجرتهِ | بل ايقنوا انهم في حيز العدمِ
وود كل طبيب عند مدفنهِ | ان لو يقيم بناديهِ على قدمِ
واستمطر المزن من حر الجوى جزعاً | واسترجع الله بالتسليم للحكمِ

يا طب لاتجزعي فالبيك توصية | وصى عليك اخاهُ الدرّ حين رمي
وخورشدًا ثم باقي من بهـا رئسوا | فافهم تصب فكرتي ياناعي العلمِ
واو اباحت لي الاوقات فرصتهـا | "مزجت دمعاً جرى من مقلة بدمِ"
وانما فجعة الاحزان داعية | لبث حزني مع التقصيرِ والندمِ
ولو رأى رفعت وقتاً يفي اسفاً | لجاء حقاً بما يصمي من الكلمِ
بالخلد فوزي غدا فالله يرحمهُ | ويجعل الصبر ذخر الآل والحرمِ
ما سيد من اذى البلوى يؤرخهُ | بموت فوزي توارى الطب بالكدمِ

١٣٠٧

---

طُبعت بمساعي الكريمين الفاضلَين حضرات
صاحبي السعادة محمّد بك راتب ومحمّد
بك الشواربي تخليدًا لذكر الفقيد
رحمهُ الله وتشجيعاً لهمّة
مؤلفها